شرح

الأصول الستة

شرح

أبي لقمان هاشم بن حسن بن عبده القرشي

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَـمْدُ لله ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إله الله وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورَسولُهُ صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبِهِ أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فقد يسر الله لي تدريس الأصول الستة للإمام المجدد أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله، فقام بعض إخواننا الأفاضل جراهم الله خيرًا وأثابهم الجنة بتفريغ الدروس الصوتية، فقمت بمراجعتها، وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح، وحذفتُ ما يحتاج إلى حذف فإنه من المعلوم أنه يحصل في الدرس بعض المناقشة، فخرج هذا الشرح الذي بين يديك بهذه الحلة، وهو جهد المقل.

فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب، أن يجعل فيه البركة والقبول، وأن ينفعني به في يوم لا ينفع في مالٌ ولا بنون، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمين.

كتبه/

أبو لقمان هاشم بن حسن بن عبده القرشي

غفر الله له ولوالديه والمسلمين.

يوم الأحد ٢٤ رجب ١٤٤٥من الهجرة النبوية.

اسمه ونسبه:

هو العلامة الإمام المجدد الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد الوهيبي من بني تميم.

مولده ونشأته:

ولد في بلاد العيينة من قرى اليمامة في بلاد نجد سنة خمسة عشر ومائة وألف من الهجرة النبوية، ونشأ بين أسرة صالحة، فهو من أسرة مباركة، وحفظ القرآن قبل بلوغ العاشرة، وأقبل على العلم وعلى الفقه وعلى العقيدة وعلى التوحيد، وأخذ عن كثير من العلماء في بلاده، ورحل إلى بلاد الجزيرة ونجد والحجاز والبصرة والمدينة ومكة والأحساء، وغيرها.

شيوخه:

له شيوخ كثر من أبرزهم: والده الشيخ عبد الوهاب رحمه الله فقد استفاد منه خيرًا، أبوه كان قاضي عيينة في تلك البلاد، وجده من أهل الفقه والفتوى، وهو مفتي نجد.

وأيضًا تعلم على يد العلامة عبد الله بن إبراهيم الشمري، وعلى يد ولده إبراهيم، وهو صاحب العذب الفائض، والشيخ إسماعيل العجلوني والشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي وغيرهم.

تلاميذه:

له أيضا تلاميذ كثر، وخرج علماء من طلبته ومن أبنائه، علي وإبراهيم وعبد الله وحفيده عبد الرحمن بن حسن صاحب فتح المجيد ، وحمد بن ناصر بن معمر وغيرهم.

ولا زال أحفاده إلى أيامنا هذه في بلاد الحرمين، فإذا وجدتم من يسمى بفلان من آل الشيخ فهو من أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله.

فمفتي المملكة سابقًا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ هو من أسرة الشيخ رحمه الله، وكذلك الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي المملكة في العصر.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب علم من أعلام المسلمين، نفع الله به في بلاد نجد والحجاز، وانتشر خيره إلى بلاد اليمن، وإلى بلاد إفريقيا، وإلى غيرها من هذه الأماكن.

وكان الناس يعيشون فترة من الزمن، وهم بعيدون عن العقيدة الصحيحة، فانتشرت عبادة القبور والشرك والبدع والخرافات، فهيأ الله عز وجل بهذا الإمام.

مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة، منها: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، والقواعد الأربع، وثلاثة الأصول، ونواقض الإسلام، ومسائل الجاهلية، وكتاب في الكبائر،

ومختصر زاد المعاد، وفضائل الإسلام، وآداب المشي إلى الصلاة، ومفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد، وكتاب في السيرة النبوية.

وفاته:

مات رحمه الله سنة ست ومائتين وألف من الهجرة النبوية، عن إحدى وتسعين سنة .

قال المصنف رحمه الله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عادةُ أهل العلم أنهم يستفتحون كتبهم بالبسملة **لأمور:**

أولًا: اقتداء بالقرآن الكريم، وهي آيةٌ مستقلةٌ تفصل بين السور، وجزءُ آيةٍ من سورة النمل.

ثانيًا: تأسيًا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث كان يفتتح رسائله إلى الملوك بالبسملة، فقد جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب إلى هرقل بسم الله الرحمن الرحيم، «من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدِعايةِ الإسلام، أسلم

تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنَّ عليك إثم الأريسيين»[(١)]، متفق عليه.

ثالثًا: تبركًا بالبسملة؛ لأن الباء للاستعانة، أو المصاحبة على وجه التبرك بالبداءة بالبسملة استعانة بالله وطلباً للعون منه سبحانه وتعالى.

رابعًا: أن هذا استقر عليه عملُ أهل العلم، فإنهم يفتتحون كتبهم بالبسملة.

قال الحافظ رحمه الله تعالى في الفتح (١/ ٩): وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة، وكذا معظم كتب الرسائل.ا هـ

وأما حديث: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحيم فهو أبتر**»، وجاء بلفظ آخر: «**كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله لا يبدأ بالحمد لله فهو أقطع**».

فهو حديثٌ ضعيفٌ بكل طرقه[(٢)]، والثابت ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء**»[(٣)]، رواه ابو داود وسنده حسن.

ومعنى الجذماء أي: المقطوعة التي لا فائدة فيها لصاحبها، وبعض أهل العلم قال: الجذماء التي أصيبت بمرض الجذام، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧) ومسلم برقم (١٧٧٣).

(٢) انظر الإرواء برقم (١ـ٢) والضعيفة برقم (٩٠٢).

(٣) حسن. أخرجه أبو داود برقم (٤٨٤١) والترمذي برقم (١١٠٦) وأحمد برقم (٨٥١٨)، وسنده حسن.

يستعيذ بالله من الجذام، قال عليه الصلاة والسلام: **«اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسيئ الأسقام»**[(١)].

ومعنى البسملة:

قوله: (بسم الله) : الجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف مؤخر، ولم كان الفعلُ مؤخرًا ؟

أولًا: تبركًا بالبداءة بالبسملة.

ثانيًا: من أجل إفادة الحصر؛ لأن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، ومعنى الحصر هو إثبات الحكم المذكور، ونفيه عن ما عداه، ويقدر الفعل بما يناسب المقام.

وقوله: (الله)، هو الاسم الأعظم، وهو مشتق من الإله، ومعناه: المألوه محبةً وتعظيمًا.

وقوله: (الرحمن)، هو اسم لله عز وجل، وهو من الأسماء المختصة بالله عز وجل، ولا يطلق على غيره، ومعناه: المتصف بالرحمة الواسعة.

وقوله: (الرحيم)، معناه: الموصل رحمته إلى من شاء من عباده، وهناك أسماء مختصة بالله عز وجل لا يجوز للانسان أن يتسمى بها، وهناك أسماء مشتركة، وإن سُمي بها العبد فليس المعنى أن فيه معنى هذا الاسم مثلاً: من أسماء الله عز وجل

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٤) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسنده صحيح.

الحكيم، ومن أسماء الله عز وجل العزيز، ولا بأس للإنسان أن يتسمى بحكيم أو بعزيز أو بحميد، وإن كان الأحسن ألا يتسمى بهذه الأسماء، فقد جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واسم ابنه عزيز فأمره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُغير اسمه إلى عبد الرحمن، والحديث في مسند الإمام أحمد[١].

واكتفى المصنف رحمه الله تعالى بالبسملة من باب الاختصار، والله أعلم.

قال المصنف رحمه الله

(من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول بينها الله تعالى بيانًا واضحًا للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلِط فيها كثيرٌ من أذكياء العالم، وعقلاءِ بني آدم إلا أقل القليل).

هذه الأصول الستة أصول مهمة، فالمصنف رحمه الله تعالى يتعجب من ذلك، وهي أن الناس لا يعرفون هذه الأصول.

قوله: (من أعجب العجاب)

بدأ المصنف رحمه الله تعالى هذه الرسالة بالتعجب من وضوح هذه الأصول وغفلة الناس عنها، والعجب يطلق على ما جُهل سببه وعلى ما عُلم سببه، ولكنه خارج عن العادة.

---

[١] صحيح. أخرجه أحمد برقم (١٧٦٠٦)، وهو حديث صحيح.

العجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء.

وفي التعريفات[١]: العجب تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة عن مثله.ا هـ

قوله: (وأكبر الآيات) أكبر اسم تفضيل بمعنى كبير، وكبير بمعنى عظيم من كَبُرَ الشيء كُبْرًا من باب قرُب وعظُم. وهناك فرق بين كبُر وكبِر تقول: هذا الطفل كبِرَ في السن والكِبَر التقدم في السن، وأما كبُرَ فهي بمعنى عظم ومنه قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣].

و(الآيات) جمع آية، وهي العلامة.

وقوله: (الدالة) الدلالة ما يُتوصل به الى معرفة الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ [سبأ:١٤].

والدال من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعليم، ويسمى الدال هو الدليل دلالة كتسمية الشيء بمصدره فمن دل غيره يسمى دال والدلالة ما يُتوصل به الى معرفة الشيء[٢].

فهذه الآيات الكونية والشرعية تدل على قدرة الله تعالى وعظمته، وأنه المستحق للعبادة، وقال في التعريفات[١]: الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول: هو الدال، والثاني: هو المدلول.ا هـ

---

(١) ص(١٤٧) للجرجاني.

(٢) انظر المفردات ص (٣١٧).

قوله: (على قدرة الملك) فيه إثبات صفة القدرة، ومن أسماء الله تعالى القدير ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان:٥٤]، ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم:٥٤]، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤]، ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[النحل:٧٠]

والقدير هو الذي له القدرة المطلقة والكاملة والتامة الذي لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض قال ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته:

وهو القدير وليس يعجزه إذا ما رام شيئًا قطُّ ذو سلطان.

وقال في طريق الهجرتين[٢]: القدير الذي لكمال قدرته يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولكمال قدرته لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء أن يعلمه إياه. إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

وقال الراغب الأصفهاني[٣]: القدرة إذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيء ما، وإذا وصف بها الله تعالى فهي نفي العجز عنه، ومحالٌ أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى وإن أُطلق عليه لفظًا، بل حقه أن يُقال: قادرٌ على كذا، ومتى قيل: هو قادر، فعلى سبيل معنى التقييد، ولهذا لا أحد غير

---

(١) ص (١٠٤).

(٢) ص (١٢٨).

(٣) في المفردات ص (٦٥٧).

الله يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يُوصف بالعجز من وجه، والله تعالى هو ينتفي عنه العجز من كل وجه.ا هـ

ومن أسماء الله تعالى القادر قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾[الأنعام:٦٥].

قال: (الملك): وهو من أسماء الله كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾[الحشر:٢٣] الآية، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقبض الله تعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض**»، متفق عليه[١].

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انتهى من صلاة الوتر، قال: «**سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس**»، **يقولها ثلاثًا**[٢].

قال ابن جرير رحمه الله[٣]: الملك الذي لا ملك فوقه ولا شيء دونه.ا هـ

وقال ابن كثير رحمه الله[٤]: الملك أي: المالك لجميع الاشياء المتصرف فيها بلا مبالغة ولا مدافعة.ا هـ

---

[١] أخرجه البخاري برقم (٤٨١٢) ومسلم برقم (٢٧٨٧)، وهذا لفظه.

[٢] صحيح. أخرجه أحمد برقم (١٥٣٥٥) عن عبد الرحمن بن أبزى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسنده صحيح، وجاء عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في زوائد المسند برقم (٢١١٤٢)، وسنده صحيح.

[٣] في تفسيره (٢٣/ ٣٠٢).

[٤] في تفسيره (٨/ ١٠٨).

وقال ابن القيم رحمه الله[١]: الملك الحقيقي ثابتٌ له سبحانه بكل وجه.ا هـ

قوله: (الغلاب): ولم يثبت دليل على أنه من أسماء الله تعالى، ولعل المصنف رحمه الله تعالى ذكره من باب الإخبار، فيُخبَرُ عن الله عز وجل بأنه غالبٌ وأنه غلابٌ، وباب الإخبار أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء، وقد ورد وصف الله تعالى بأنه غالب كما قال الله تعالى: ﴿**وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف:٢١].

قال القرطبي رحمه الله[٢]: أي: لا يغلب الله شيء بل هو الغالب على أمر نفسه فيما يريده أن يقول له كن فيكون.ا هـ

وقال ابن كثير رحمه الله[٣]: أي: إذا أراد شيئًا فلا يُرد ولا يمانع ولا يخالف، بل هو الغالب لما سواه.ا هـ

ومن معاني العزة: الغلبة والقهر، فصفة الغلبة صفة ثابتة لله عز وجل؛ لهذه الآية ولقوله تعالى: ﴿ **كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[المجادلة:٢١] والغلبة بمعنى القهر، ويتصف الله تعالى بصفة القهر، ومن أسمائه القاهر والقهار قال سبحانه: ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**

---

(١) في شفاء العليل ص (٢٢٠).

(٢) في تفسيره (٩/ ١٦٠).

(٣) في تفسيره (٤/ ٣٢٤).

﴿[الأنعام:١٨] وقال: ﴿قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿[الرعد:١٦].

قال رحمه الله: (ستة أصول) الستة اسم جمع، وهو ما دل على أكثر من اثنين، ولا واحد له من لفظه، نحو: رهط وقوم ونساء، فهذه تدل على الجمع، وليس لها واحد من لفظه.

وقوله: (أصول) جمع أصل، وهو في اللغة: ما يبنى عليه غيره.

واصطلاحًا: هو ما له فرع، ويطلق الأصل ويراد به أحد أربعة أمور:

الأول: الدليل كما يقال: الأصل في تحريم السرقة الكتاب والسنة والإجماع، وهذا هو الغالب عند الأصوليين.

الثاني: بمعنى الرجحان، نحو: الأصل في الكلام يحمل على ظاهره، بمعنى الراجح.

الثالث: القاعدة المستمرة، نحو: أكل الميتة على خلاف الأصل، يعني: أن الأصل فيها أنها محرمة، وإنما تباح للضرورة.

الرابع: المقيس عليه، نحو: قياس المخدرات على الخمر، فالخمر هو الأصل وهو مقيس عليه، والمخدرات قيست على الخمر؛ لأن كلا منهما يذهب العقل.

قال رحمه الله :

(بينها الله سبحانه وتعالى بيانًا واضحًا للعوام)

أي: أن هذه الأصول الستة قد بينها الله تعالى في كتابه الكريم، ووضحها وضوحًا شافيًا كافيًا للعوام والعوام جمع عامي، وهو مأخوذ من العمى؛ لأن الأعمى يحتاج من يقوده ويبصره في طريقه وغيره، وكذلك العامي يحتاج من يعلمه، ومن يقوده إلى الطريق المستقيم، وليس المراد أنها خاصة بالعوام بل يحتاجها العوام وطلاب العلم والعالِم، وإنما المراد أنها واضحةٌ لعموم الناس يدركها الذكي والبليد والعالم والجاهل.

وقوله: (فوق ما يظن الظانون) أي: أن الله وجل قد بينها بيانًا شافيًا كافيًا، والظن مرتبة من مراتب الإدراك الست، وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

قال: (ثم بعد هذا) أي: بعد هذا البيان الواضح الذي يدركه عوام الناس فضلاً عن علمائهم غلِط فيه كثيرٌ من أذكياء العالم أي: وقع في الخطأ فيها كثير من أذكياء العالم، والأذكياء جمع ذكي، وهو من اتصف بصفة الذكاء، والذكاء هو سرعة الفهم، وقيل: هو حدّة في الفهم يدرك بها الإنسان الغامض من الأمور.

وقوله: (العالَم) العالم يطلق على كل ما سوى الله، وهذا يدل على أنه ليس هناك صلة بين الذكاء والإيمان؛ لأن الذكاء في الفهم والزكاء في القلب، وقد يكون الإنسان ذكيًا وهو كافر، ولا يكون زكيًا إلا إذا كان مؤمنًا موحدًا.

فالزكاء أهم من الذكاء، ولما ترجم الذهبي رحمه الله تعالى في السير[١] لأبي الحسن أحمد بن يحيى الريوندي، وكان هذا الرجل من الأذكياء إلا أنه ألف كُتبًا في تحريف القرآن، والطعن في الصحابة فكتبه كلها على الإسلام وأهله.

قال رحمه الله في آخر ترجمته[٢]: لعن الله الذكاء بلا إيمان ورضي الله عن البلادة مع التقوى.ا هـ

فالذكاء لا ينفع لوحده، بل لا بد مع الذكاء من زكاء، فالذكاء إذا اجتمع مع الإيمان والتوفيق فهو نورٌ على نور.

ولذا كان من أسلافنا من يتمتع بصفة الذكاء، ولكن لما كانوا على خير وهدى استفادوا وأفادوا وانتفع الناس منهم، مثلاً شيخ الاسلام رحمه الله تعالى كان سريع الفهم والحفظ، ويذكرون في ترجمته أنه كان إذا بدأ في الكلام يغمض عينيه ثم يكون كالسيل يسرد الأدلة من القرآن والسنة وأقوال العلماء حتى يتعجب الحاضرون، وكان يجلس بعد العصر مع طوائف من الناس يأتي إليه أهل المذاهب فيناقشهم في مذاهبهم، ويصحح لهم بعض الأقوال التي هم ربما ما يعرفون أنها من مذهبهم التي يمشون عليها، ولما طالع كتاب سيبويه في النحو ويسمى الكتاب، وهو من أعظم الكتب في النحو، استخرج ثمانين خطأ؛ لأنه كان قويًا في العلم، وفي سائر الفنون، وكذلك في باب الردود.

---

[١] في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٩).

[٢] ص (١٤/ ٦٢).

وهكذا تلميذه ابن القيم وابن كثير والذهبي وغيرهم من أهل العلم.

قوله: (وعقلاء بني آدم) العقلاء جمع عاقل اسم فاعل من عقلت الشيء عقلاً، وعاقل تجمع على عقلاء وعلى عُقّال.

وأصل العقل: الإمساك والمنع، وهو نعمةٌ من نعم الله تبارك وتعالى على الإنسان قال الله تعالى: ﴿ وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[النحل:٧٨]، فمن استخدمه في طاعة الله فهو العاقل، ومن لم يستخدم عقله في طاعة الله فليس بعاقل، ولو كان عنده عقل إلا أنه ليس بعاقل لأنه لم ينتفع من عقله قال الله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة:١٧١].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن من رحمة الله عز وجل بالإنسان أن العقل يكبر مع الإنسان شيئا فشيئا، ولو كان عقل الإنسان في حال صغره كما هو في حال كبره لربما أُصيب بالجنون.

أين موضع العقل؟

حصل خلاف بين أهل العلم فذهب الشافعي وأحمد رحمة الله عليهما أنه في القلب وله ارتباط بالدماغ، وأما أبو حنيفة رحمه الله فقال: هو في الدماغ.

والصحيح القول الأول، وأن العقل في القلب بدليل قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[الحج:٤٦] الآية، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾

[الأعراف:١٧٩]، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

قال جمع من أهل التفسير في هذه الآية: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: عقل.

وهذا القول هو ترجيح القرطبي وشيخ الإسلام وابن القيم وابن كثير والحافظ والشوكاني والشنقيطي والسعدي والألباني والوادعي وابن عثيمين واللجنة الدائمة برئاسة ابن باز رحمة الله عليهم أجمعين [(١)] .

وقوله: (بني آدم) هذه نسبة إلى أبينا آدم عليه الصلاة والسلام، وهو أبو البشر خلقه الله تعالى بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وسُمي بذلك لأن الله خلقه من أديم الارض كما في حديث **أبي موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأسود والأبيض**

---

(١) انظر في مجموع الفتاوى (٣٠٣/٩) ومفتاح دار السعادة (١٩٥/١) وتفسير ابن كثير (٣٨٥/٥) والفتح (١٢٩/١) وفتح القدير (٥٤٤/٣) وأضواء البيان (٢٧٥/٥) تفسير السعدي ص (٦٣١) والصحيحة (٤٦٨/٦) والقول المفيد (٣٤٤/١).

والأصفر، وبين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث والطيب»[(١)]**، رواه أبو داود وهو حديث صحيح.**

قال المصنف رحمه الله: (إلا أقل القليل) أي: غلط فيها كثير من الناس إلا أقل القليل الذين لم يغلطوا فيها، وفي هذا فائدة وهي أن الكثرة لا تدل على صحة الطريق، وسلامة المنهج، وإنما الذي يدل على صحة الطريق وسلامة المنهج هو لزوم الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

ولم يذكر الله عز وجل الكثرة في كتابه الكريم على وجه المدح، بل قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[الأنعام:١١٦]. وقال سبحانه: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[البقرة:١٠٠]، وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾[البقرة:٢٤٣]، في ثلاثة مواضع.

وقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[آل عمران:١١٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾[المائدة:١٠٣]، وفي سورة العنكبوت قال: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣]، وفي سورة الحجرات: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾[الحجرات:٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[الطور:٤٧]، في خمسة عشر موضعًا.

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود برقم (٤٦٩٣) والترمذي برقم (٢٩٥٥) وهو حديث صحيح.

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾[الأنعام:١١١] وقال: ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[الأعراف:١٧]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:١٨٧] وقد وردت في أحد عشر موضعًا.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[هود:١٧] في ثلاثة مواضع في سورة هود والرعد وغافر.

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[يوسف:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[النحل:٨٣] وقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[الشعراء:١٧٤] هذه الآية في سورة الشعراء ذكرها الله عز وجل في ثمان مواضع كلها في سورة الشعراء.

وقال تعالى: ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾[الشعراء:٢٢٣]، وقال عز وجل: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾[الروم:٤٢]، وقال: ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾[الزخرف:٧٨].

فالكثرة لا تحمد إلا إذا كانت على خير، وغالبًا أن الكثرة لا تكون ممدوحة إلا إذا كانت على خير فإذا كانت على وفق الكتاب والسنة فهي كثرة محمودة ولهذا قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك).

فليست العبرة بالكثرة، وإنما بلزوم الجادة، فالناظر إلى أهل الحق يراهم بجانب أهل الباطل قليل قال الله عز وجل: ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص:٢٤]، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣].

فالواجب على الإنسان أن يتبع الحق، وأن يلزم الكتاب والسنة، وألا يغتر بالكثرة والجمهرة، وكثرة عوام الناس.

الآن ترى كثيرًا من الناس ينجرون وراء الباطل، ويقعون في الفتن، ولا يفقهون الواقع، فليس كل الناس يدركون الفتنة وهي مقبلة وإنما يُدرك ذلك العلماء، فالإنسان يلزم الكتاب والسنة، ويلزم غرز العلماء ففيهما السلامة والبركة.

والأصول الستة نذكرها على سبيل الإيجاز ثم نشرحها إن شاء الله تعالى.

📖 **الأصل الأول:** الإخلاص وبيان ضده، وهو الشرك.

📖 **الأصل الثاني:** الاجتماع في الدين، والنهي عن التفرق فيه.

📖 **الأصل الثالث:** السمع والطاعة لولاة الأمر.

📖 **الأصل الرابع:** بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء، ومن تشبه بهم وليس منهم.

📖 **الأصل الخامس:** بيان من هم أولياء الله.

📖 **الأصل السادس:** رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة.

فهذه أصول مهمة يحتاج المسلم أن يتعلمها في حياته ويعمل بها، وأن يحذر من ضدها .

قال المصنف رحمه الله:

الأصل الأول : إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطانُ الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتِّباعهم).

هذا هو الأصل الأول من الأصول الستة، وهو الإخلاص لله تعالى، والإخلاص في اللغة: الخالص والصافي، وهو ما زال عنه الشوائب، فمادة الخاء واللام والصاد تدل على السلامة والصفاء والنقاء من الشوائب، ومنه قوله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[النحل:٦٦].

وشرعًا: هو أن يقصد العبد بعمله رضا ربه وثوابه، والدين هنا بمعنى العمل.

فقوله: (إخلاص الدين) أي: إخلاص العمل لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر:٣]،وقال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ

﴿[الكافرون:٦]﴾، وقد يكون الدين بمعنى الجزاء والحساب كما قال تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤]، وأكد ذلك بقوله: (وحده لا شريك له)، فلا شريك له في ألوهيته ولا ربوبيته ولا أسمائه وصفاته، ونحن مأمورون بعبادته وحده لا شريك له، وأول أمر أمرنا الله تعالى به في كتابه الكريم هو الأمر بالعبادة، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة:٢١]، وحذرنا الله تعالى من ضده وهو الشرك، والشرك في اللغة: بمعنى النصيب، فمن أشرك بالله فقد جعل لغيره نصيبًا.

وشرعًا: هو أن تجعل لله ندا وهو خلقك[1]، هذا الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر: فهو ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر.

(وقد بين القرآن هذا الأصل غاية البيان) فالقرآن يدعو إلى التوحيد وإخلاص العمل لله تعالى، ويحذر من الشرك وأهله، وأنه ظلمٌ عظيمٌ ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان:١٣]، وقد بين الله عز وجل سوء العاقبة لأهل الشرك في الدنيا والآخرة.

والناظر في القرآن الكريم يرى أن التوحيد واضح، فالعامي إذا قرأ القرآن مثلاً إذا قرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[الإخلاص:١. ٤]، فإنه يفهم أن الله عز وجل واحدٌ لا شريك له وأنه

---

(١) كما جاء ذلك في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين.

ليس له ولد ولا والد، فلا يحتاجون إلى عظيم إدراك حتى يفهموا هذه المعاني بل هي واضحة ظاهرة.

ثم لما ترك بعض الناس الصراط المستقيم، والهدي القويم أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة، وهي تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، يعني: يأتي إلى الإنسان ويقول له: هذا رجل صالح، ما عظمه الناس وما وقروه إلا لأنه صالح له شأن، فلماذا لا تسأل منه أن يتوسط لك وأن يشفع لك إلى غير ذلك. **فإذا جئت ونصحته قال:** أنتم ما تعظمون الصالحين، وهذا من تزيين الشيطان. هذا هو حال الشيطان أنه ينفر النفس، ويزهدها عن الطاعة حتى يصرفها، ويأتي إلى المعصية ويزينها ويجملها حتى يوقع الإنسان فيها، فالشيطان يُظهر الشرك بمظهر محبة الصالحين، ويُظهر من يدعون إلى التوحيد بأنهم لا يحبون الصالحين ولا يعظمونهم حق التعظيم، فزين لهم أن تعظيم الأولياء يكون بالانحناء لهم، والدعاء عند قبورهم، وغير ذلك مما يفعله الشيطان بأهل الشرك، والحقيقة أنها شبهة ضعيفة لا تنطلي إلا على ضعاف العقول، ومن نظر بعين الإنصاف علم أن هذا ليس تنقصا فيهم، بل هو غلوٌ، ومجاوزةٌ للحد.

فالمؤمن ينبغي عليه أن يكون فطنًا حذرًا من الشرك وأهله، وأن يحب الصالحين محبة شرعية قربة وطاعة لله دون غلو ولا إجحاف.

والغلو: هو مجاوزة الحد في المدح أو القدح، فمن جاوز الحد في المدح أو القدح فهو من أهل الغلو أو قد وقع في الغلو.

وأول ما بدأ الشرك هو من جهة الغلو في الصالحين، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح:٢٣].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أسماءُ رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت» (١).

وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» (٢).

فقد كان بداية الشرك من هذه الظاهرة، وهي الغلو في الصالحين، قال ابن القيم رحمه الله: ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته: ما أوحاه قديمًا وحديثًا إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها إلى أن عُبد أربابها من دون الله، وعُبدت قبورهم، واتخذت أوثانا، وبنيت عليها الهياكل، وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٩٢٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره والحاكم برقم (٣٦٥٤)، وهو أثر صحيح.

أجسادا لها ظل، ثم جعلت أصنامًا وعبدت مع الله تعالى، وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح، كما أخبر سبحانه عنهم في كتابه [(١)] . ا هـ

وقال السعدي رحمه الله: والناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام: أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل، وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها، وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم، ويقومون بحقوقهم الحقيقية، ولكنهم يبرءون من الغلو فيهم، وادعاء عصمتهم، والصالحون أيضا يتبرءون من أن يدعوا لأنفسهم حقا من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾.ا هـ

وما أكثر الذين يقعون في الغلو وهم لا يشعرون وربما جرهم الغلو إلى الشرك؛ لأن الشيطان يزين للإنسان الباطل، فنسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٨٣).

قال المصنف رحمه الله:

الأصل الثاني :(أمر الله تعالى بالاجتماع في الدين، ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بيانًا شافيًا تفهمه العوام).

هذا هو الأصل الثاني من الأصول التي دل عليها القرآن الكريم، والسنة النبوية، وهو أن الله تعالى أمر الله تعالى بالاجتماع في الدين، ونهى عن التفرق فيه.

والاجتماع: بمعنى الضم، وهو ضد الافتراق.

وشرعًا: أن ينضم المسلمون بعضهم إلى بعض حول الكتاب والسنة، فلا اجتماع إلا بالكتاب والسنة، أما لو اجتمعوا على غير الكتاب والسنة فهم في فرقة، وتقدم معنا ما قال ابن مسعود رضي عنه: الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك.

وقد أمرنا الله تعالى بالاجتماع، وحذرنا من الفرقة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا**﴾[آل عمران:١٠٣].

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره (١٥٩/٤): فإن الله تعالى يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة؛ لأن الفرقة هلكة والجماعة نجاة.ا هـ وهذا كلام جميل من هذا

الإمام رحمه الله فالفرقة هلكة والجماعة نجاة فمن أراد النجاة فعليه بالجماعة، والجماعة ما وافق الحق.

وقال ابن كثير رحمه الله (٢/٧٧): أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع والائتلاف.ا هـ فالاجتماع على الكتاب والسنة بركة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«واجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه»**[(١)]، فإذا كان هذا على مستوى الاجتماع على الطعام فكيف لو اجتمع الناس على الكتاب والسنة لا شك أن هذا بركة فالاجتماع أمان للناس من الفتن والعذاب، ولما سَأل حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماذا يفعل عند حدوث الفتن؟ فقال: **«تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»**، متفق عليه[(٢)]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«يد الله مع الجماعة »**[(٣)]، رواه الترمذي وهو حديث صحيح.

ولماذا شرعت صلاة الجماعة والجمعة وشرعت صلاة العيدين إلا من أجل الاجتماع، **قال ابن حجر رحمه الله (٢/١٢٩):** ليختموا النهار بالاجتماع على الطاعة، ويفتتحوه كذلك.ا هـ

---

(١) حسن. رواه أبو داود برقم (٣٧٦٤) وابن ماجه برقم (٣٢٨٦) عن وحشي بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٠٦) ومسلم برقم (١٨٤٧).

(٣) صحيح. رواه الترمذي برقم (٢١٦٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو حديث صحيح .

فالناس يبدءون يومهم بالاجتماع في صلاة الفجر، وفي آخر اليوم يجتمعون في صلاة العشاء ثم يتفرقون إلى بيوتهم فشرعت الصلاة من أجل حصول الاجتماع والألفة وفي صحيح مسلم[١] **عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **، أن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا»**، والثالثة جاءت في خارج الصحيح[٢]: **«وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»**، ولعظم أمر الجماعة فقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من أراد يفرق جماعة المسلمين فإنه يصير مهدور الدم لحديث عرفجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»**[٣]، رواه مسلم، وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**[٤]، متفق عليه، وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة، ثم مات مات ميتة جاهلية»**[٥]، رواه مسلم.

---

(١) برقم (١٧١٥) .

(٢) صحيح. رواه أحمد برقم (٨٧٩٩) ، وسنده صحيح .

(٣) رواه مسلم برقم (١٨٥٢) .

(٤) رواه البخاري برقم (٦٨٧٨)، ومسلم برقم (١٦٧٦) .

(٥) رواه مسلم برقم (١٨٤٨) .

وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية»[(١)]، رواه مسلم.

والافتراق في اللغة: مأخوذ من المفارقة، وهي المباينة والمفاصلة.

وشرعًا: هو عدمُ لزوم الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فمن تمسك بالكتاب والسنة ولو خالف الناس جميعًا فهو الجماعة، ولا يكون مفارقًا للجماعة إلا إذا فارق الحق، والذين ابتعدوا عن الكتاب والسنة ولو كانوا جماعة من الناس فقد فارقوا الجماعة؛ لأن العبرة بموافقة الحق.

فالافتراق شر وعذاب، والاجتماع رحمة وأمان والدليل على أن الاجتماع رحمة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾[هود:١١٨. ١١٩]، ومن فارق الجماعة فهو نذير شر عليه، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الخلاف شر، وهذا فيه رد على من يقولون: اختلاف الأمة رحمة، ويقولون قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اختلاف أمتي رحمة»، وهذا ليس بحديث صحيح. فالخلاف ما فيه رحمة، الخلاف شر كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد ذكر الله عز وجل أسباب الافتراق في القرآن الكريم، وكذلك نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففي سورة الحجرات ذكر الله عز وجل خمسة عشر سببًا من أسباب الافتراق في هذه السورة، أذكرها على سبيل الإجمال:

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨٤٩).

أولًا: عدم الاعتصام بالكتاب والسنة.

ثانيًا: سوء الأدب.

ثالثًا: عدم الصبر والتأني.

رابعًا: عدم التثبت من نقل الأخبار.

خامسًا: عدم الرد إلى الله ورسوله.

سادسًا: الكفر.

سابعًا: الفسوق.

ثامنًا: العصيان.

تاسعًا: الظلم، والاعتداء على الآخرين.

عاشرًا: السخرية بالآخرين.

الحادي عشر: اللمز والهمز.

الثاني عشر: التنابز بالألقاب.

الثالث عشر: إساءة الظن بالآخرين.

الرابع عشر: التجسس.

الخامس عشر: الغيبة، والنميمة.

فمن خالف الكتاب والسنة فقد وقع في أسباب الفرقة، ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[الأنعام:١٥٣]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن تفرقكم في هذه

الشعاب والأودية إنما هو من الشيطان»[(١)]، رواه أبو داود عن أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث صحيح.

فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذا الفعل من الشيطان لما تفرقوا في واد من الأودية، فما بالك بما هو اشد من ذلك.

قال المصنف رحمه الله

(فبين الله هذا بيانا شافيا تفهمه العوام)

أي: أن الله عز وجل قد وضح هذا توضيحًا شافيًا كافيًا في الكتاب، وكذلك وضحه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة، وهو الأمر بالاجتماع والنهي عن الفرقة فلا يحتاج إلى كبير تأهل لوضوحه وعدم لبسه، لو جئت إلى واحد من عوام الناس وسألته هل أمرنا الله عز وجل بالاجتماع وبالجماعة وحذرنا من الافتراق لقال لك: نعم لأنه هذا شيء واضح.

---

(١) صحيح. رواه أبو داود برقم (٢٦٢٨)، وسنده صحيح .

قال المصنف رحمه الله

(ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا)،

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[آل عمران:١٠٥].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٢/٧٩): ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين في افتراقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن منكر مع قيام الحجة عليهم.ا هـ

قال المصنف رحمه الله

(وذَكَرَ أنه أمر المسلمين بالاجتماع في دينهم، ونهاهم عن التفرق فيه ويزيده وضوحا ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك).

كما قال الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٣].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١٧٨/٧): أوصى الله سبحانه وتعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف. اهـ

ومن العجب العجاب ما ورد في السنة من افتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، فقد جاء في سنن أبي داود[١] بسند حسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»، وجاء عند أحمد وأبي داود[٢] عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة**»، وسنده حسن، وجاء عند ابن ماجه[٣] عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**قالوا يا رسول الله: من هم؟ قال: «الجماعة»**»، وهو حديث حسن، وجاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنهم قالوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»**»[٤]، رواه الترمذي وهو حديث حسن.

---

(١) صحيح. رواه أبو داود برقم (٤٥٩٦)، وسنده حسن وله شواهد يصح بها.

(٢) حسن. رواه أحمد برقم (١٦٩٣٧) وأبو داود برقم (٤٥٩٧)، وسنده حسن.

(٣) حسن. رواه ابن ماجه برقم (٣٩٩٢)، وهو حديث حسن.

(٤) حسن. رواه الترمذي برقم (٢٦٤١) وسنده حسن.

فهذه الأحاديث بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه حصل افتراق في الأمم السابقة، وسيحصل في هذه الأمة افتراق إلى ثلاث وسبعين فرقة، قد يقول قائل: هناك أكثر من مائة فرقة؟ يقول أهل العلم: مراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفرق التي تكون لها أتباع بكثرة، فهي لا تخرج عن هذا العدد، وهي ثلاث وسبعون فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، هذه الفرقة التي في جاء وصفها في الأحاديث: (هي الجماعة)، وفي بعض الأحاديث: **«هي ما أنا عليه وأصحابي»**.

قال المصنف رحمه الله

(ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين)

أي: صار الافتراق في أصول الدين وفروعه عند كثير من الناس من العلم ومن الفقه في الدين.

وتقسيم الدين إلى أصول وإلى فروع أنكره شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وهو تقسيم مبتدع، فالأصول عندهم مسائل العقيدة، والفروع غير مسائل العقيدة ما يتعلق بالمسائل العملية، فجعلوا الأصول للعقيدة وما سوى ذلك فروع وشيخ الإسلام رحمه الله تعالى أنكر عليهم ذلك؛ لأن هذا التقسيم جاء من قبل أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم فجعلوا الصلاة، وكذلك الزكاة والصوم والحج وهي من أركان الإسلام من فروع الدين.

قال ابن عثيمين رحمه الله: ما كلفنا به فهو نوعان: عقدي وعملي، وهذا تقسيم طيب، هناك أعمال في القلب وهناك أعمال بالجوارح.ا هـ

وقال العلامة الألباني رحمه الله: إن تقسيم الدين إلى فروع وأصول هذا تقسيم مبتدع.ا هـ

وقد أشكل على كثير من طلاب العلم أنه ورد في كلام بعض العلماء المحققين كشيخ الإسلام رحمه الله وغيره، والجواب: الاعتراض إنما هو على تقسيم أهل الكلام أما إذا كان التقسيم الأصول بمعنى العقدي والفروع بمعنى العملي فهذا سائغ وقد استخدمه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وغيره من أهل العلم وإنما المأخذ الذي أخذه شيخ الإسلام على أهل الكلام أن مسائل الأصول عندهم هي ما علم بالعقل والسمع، وما علم بالسمع دون العقل فهو من مسائل الفروع. وهذا فيه انتقاد مثلاً: إماطة الأذى عن الطريق هذا عندهم من الأصول أو من الفروع؟ يقولون: من الفروع لأنه جاء في السمع يعني ورد الدليل على ذلك، ونحن نقول: هذا أيضًا له دليل عقلي وهو أنه من المحاسن ومن البر ومن إزالة الأذية فقد جاء دليله بالسمع والعقل يدل على ذلك. كذلك أيضا من المسائل التي وردت في الشرع نزول ربنا جل وعلا في الثلث الأخير من الليل ذكرها الشرع ولم يدل عليها العقل.

لو لم يذكر هذا نبينا ﷺ هل يجوز لنا أن نقول: إن الله عز وجل ينزل؟ لا يجوز لأحد أن يتكلم في هذه الأمور الغيبية، ولم يدل العقل على ذلك،

فلما أخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمنا بذلك، فهذا عن طريق السمع، وهم يجعلون هذا الأمر الذي هو من أمور العقيدة من الفروع، فهذا التقسيم عليه إشكالات وإيرادات، ولكن إذا كان التقسيم إلى أصول وفروع، فتكون الأصول مسائل الاعتقاد والفروع المسائل العملية فهذا سائغ، وقد استخدمه جمع من أهل العلم.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أراد أن يبين أن بعض الناس قد افترقوا في أصول الدين في مسائل من العقيدة، وفي مسائل عملية ويعتبرون هذا من الفقه في الدين، فصار الناس يدعون إلى فرق وأحزاب كثيرة، ويختلفون في ذلك وكل يتبع حزبه ويعتبرون هذا من العلم والفقه في الدين وهذا عين الضلال، والواجب علينا جميعا لزوم الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة فهو سبيل النجاة.

قال المصنف رحمه الله

(وصار الاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون)

أي: صار عند كثير من الناس من يأمر الناس بالاجتماع على الكتاب والسنة على فهم السلف، ويحذرهم من الأحزاب والجماعات المنحرفة، والأقوال المزيفة والمنحرفة والطوائف المبتدعة يصفونه بالزندقة والجنون.

والزنديق: يطلق على المنافق الاعتقادي، وهو الذي لا يتمسك بالشريعة.

والمجنون: هو فاسد العقل الذي فيه جنون، والجنون هو حائل بين النفس والعقل، وفي التعريفات: هو من لم يستقم كلامه وأفعاله هذا هو المجنون.ا هـ وهذا شأن أهل الباطل أنهم يرمون الصالحين بما ليس فيهم قال سبحانه: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات:٥٢]، وهكذا سائر الأنبياء يتهمونهم بالجنون فهذا نوح عليه الصلاة والسلام يقول له قومه: ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾[القمر:٩]، وهذا هود عليه الصلاة والسلام يقول له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف:٦٦]، ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾[هود:٥٤] يعني: أصابتك الآلهة بالجنون، وهذا موسى عليه الصلاة والسلام قال له فرعون كما قال الله عز وجل: ﴿ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[الذاريات:٣٩]، قال: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾[الشعراء:٢٧]، ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا فيه مجنون وشاعر وكاهن ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر:٦]، ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾[الشعراء:٢٧]، ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾[الصافات:٣٦]، ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾[الدخان:١٤]،﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾[القلم:٥١].

قال المصنف رحمه الله:

الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبدًا حبشيًا فبين الله هذا بيانًا شائعًا كافيًا بوجوه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا).

وهذا أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة فهم وسط بين الرافضة والمعتزلة والخوارج، فالرافضة يقدسون ولاة أمورهم ويغلون فيهم، ويرون العصمة لهم، فلا يرون منكرا في أفعالهم فضلا عن الإنكار عليهم.

وأما المعتزلة والخوارج فإنهم يرون أن الأمر والنهي مع الولاة لا يكون إلا بالسيف، والخروج عليهم وتكفيرهم.

وأما أهل السنة والجماعة فيرون السمع والطاعة بالمعروف، ولا يعتقدون عصمتهم، ولا يغلون فيهم، ويرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهم بالمعروف، والدعاء لهم، ويحفظون حقهم ومنزلتهم دون تحريش وتأليب عليهم، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[النساء:٥٩]،قال الله: ﴿أَطِيعُوا اللهَ﴾ ثم أعاد لفظ الطاعة فقال: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾، ولم يُعده مع ولاة الأمر، لماذا؟ ذكر شيخ الإسلام وابن القيم

والعلامة ابن عثيمين رحمة الله عليهم أن الله عز وجل أمر بطاعته، وطاعته واجبة، وأمر بطاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبة؛ لأنها من طاعة الله ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[النساء:٨٠]، وأما طاعة ولاة أمر إنما تكون تبعا لطاعة الله وطاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فطاعة الولاة لا تكون إلا وفق الكتاب والسنة نطيعهم في طاعة الله على ما جاء في كتاب الله وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وليست طاعتهم طاعةً مستقلة وإنما هي تبعٌ لطاعة الله ورسوله.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ اختلف أهل العلم ما المراد بأولي الأمر في هذه الآية؟ على أقوال:

الأول: هم الأمراء ثبت هذا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن جرير بسند صحيح ورجح هذا ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره عند الآية.

الثاني: المراد بهم الفقهاء والعلماء.

الثالث: أن الآية تشمل الأمرين، وهذا هو الصحيح، وهو ترجيح القرطبي وشيخ الإسلام وابن القيم وابن كثير وابن عثيمين رحمة الله عليهم، وعلى هذا جمعٌ من أهل العلم.

والمراد بقول المصنف رحمه الله تعالى: (السمع والطاعة)، السمع: هو القبول ويطلق على الطاعة، والطاعة: هي الانقياد والامتثال وهما مقرونان في القرآن والسنة، قال الله وجل: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[النور:٥١] ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[البقرة:٢٨٥] وقال النبي ﷺ : «**ولكن قولوا: سمعنا وأطعنا**»(١)، رواه مسلم عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما.

وطاعتهم بالمعروف كما قال النبي ﷺ : «**إنما الطاعة بالمعروف**»(٢)، متفق عليه عن علي رضي الله عنه ، وقال عليه الصلاة والسلام: «**السمع والطاعة مع المرء المسلم، فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**(٣)، متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما، وجاء عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال: «**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ويسرنا، وعلى أثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله قال: «إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله فيه برهان**»(٤)، متفق عليه، وفي حديث **العرباض بن سارية** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة**»(٥)، رواه أبو داود وهو حديث حسن. وفي البخاري(٦) **عن أنس** رضي الله عنه **أن النبي** ﷺ **قال: «اسمعوا وأطيعوا**

---

(١) أخرجهما برقم (١٢٥ـ١٢٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧١٤٥) ومسلم برقم (١٨٤٠).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧١٤٤) ومسلم برقم (١٨٣٩).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٦) ومسلم برقم (١٧٠٩).

(٥) صحيح. أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٧) والترمذي برقم (٢٦٧٦)، وهو حديث صحيح.

(٦) أخرجه البخاري برقم (٧١٤٢).

وإن أمر عليكم عبد **حبشي كأن رأسه زبيبة»**، والعبد ما كان يولى في أيام النبي ﷺ ولا بعده لأن النبي ﷺ قال: **«الخلافة في قريش»**[١]، ولكن هذا في حال لو استتب الأمر له وجب السمع والطاعة، ولو كان عبدًا حبشيًا من حيث اللون والجنس.

وجاء عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع وان كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف»[٢]، رواه مسلم.

وعن أم الحصين رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع ويقول: «ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا له وأطيعوا»[٣]، رواه مسلم وقال عليه الصلاة والسلام: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون»، قالوا يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: «أوفوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[٤]، متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من

---

(١) حسن بشواهده. أخرجه أحمد برقم (١٧٦٥٣)، وقد حسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة برقم (١٨٥١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٦٤٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٨٣٨).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٤٥٥) ومسلم برقم (١٨٤٢) عن أبي هريرة.

رأى من أميره شيئا فكره فليصبر»[(١)]، متفق عليه وقال النبي ﷺ : «عليك السمع والطاعة في عسرك عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»[(٢)]، رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي الصحيحين[(٣)] عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، فلقنني فيما استطعت»، وقال النبي ﷺ : «إنها ستكون أثرة وأمور تنكرونها»، قالوا: كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ «تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم»[(٤)]، متفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وقال النبي ﷺ : «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع»[(٥)]، رواه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه ، وقال عليه الصلاة والسلام: «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع»، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا»[(٦)]، رواه مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها ، وجاء عند مسلم[(١)] عن عوف بن مالك رضي الله عنه : «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة».

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٣) ومسلم برقم (١٨٤٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٣٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٢٠٤) ومسلم برقم (٥٦).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٦٠٣) ومسلم برقم (١٨٤٣).

(٥) أخرجه مسلم برقم (١٨٤٧).

(٦) أخرجه مسلم برقم (١٨٥٤).

ما هي حقوق ولاة الأمر؟

أولًا: السمع والطاعة بالمعروف في غير معصية.

الثاني: السمع والطاعة، وإن منعوا الحقوق عن رعاياهم.

الثالث: السمع والطاعة مع الصبر على الأذى.

الرابع: النصيحة لهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتي هي أحسن، قال النبي ﷺ: **«الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**[٢]، رواه مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه.

قال ابن رجب رحمه الله[٣]: والنصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم به، وتنبيههم في رفق ولطف، ومجانبة الوثوب عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق، وحث الأغيار على ذلك.ا هـ

وفي المسند[٤] بسند صحيح عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبدًا: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة»، وقال النبي ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا»[٥]، رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٥٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

(٣) في جامع العلوم والحكم ص (٢٣٣).

(٤) صحيح. أخرجه أحمد برقم (٢١٥٩٠)، وسنده صحيح.

(٥) أخرجه مسلم برقم (١٧١٥).

، وجاء بيان هذه الثالثة عند أحمد[١] بسند صحيح: «وأن تناصحوا من ولَّاهُ الله أمركم».

خامسًا: توقير الأمراء، والنهي عن سبهم وإهانتهم، قال النبي ﷺ: **«من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»**[٢]، رواه الترمذي عن أبي بكرة رضي الله عنه.

وأما مسألة الأسلوب في مناصحة الحكام فقد جاء عن عياض بن غنم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر، فلا يبد له علانية، ولكن ليأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدَّى الذي عليه له»[٣]، رواه أحمد وهو حديث حسن.

لا اله إلا الله، أين دعاة السوء الذين يثورون الناس على ولاة الأمر من مثل هذه الأحاديث؟ استغلوا قضية فلسطين من أجل التثوير على الحكام، وتكفيرهم والتشهير بعيوبهم، فالكلام على ولاة الأمر ليس من شأن أهل السنة والجماعة، بل هذا من شأن الخوارج.

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد برقم (٨٧٩٩)، وسنده صحيح.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي برقم (٢٢٢٤)، وهو حديث صحيح، وقد صححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (١١٧٨).

(٣) حسن لغيره. أخرجه أحمد برقم (١٥٣٣٣)، وفيه انقطاع، وله شواهد يُحسن بها.

وفي صحيح مسلم[١] عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أُكلمه إلا أُسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه».

النصيحة لولاة الأمر أن يُذهب إليهم، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما **سئل أي الجهاد أفضل؟ قال: «كلمة حق عند ذي سلطان جائر»**[٢]، رواه ابن ماجه **عن أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولم يقل النبي أن يشهر بهم، بل قال: **«عند سلطان»** تقولها عند السلطان، وليس من مكان بعيد ولا من فوق المنابر، فالنصيحة للحكام تكون برفق ولين وسر، فإن قبل فذاك وإن ردها فلا تشهر به، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«سيدُ الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»**[٣]، رواه الحاكم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في السلسلة الصحيحة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٩).

(٢) صحيح. أخرجه رواه ابن ماجه برقم (٤٠١٢)، وهو حديث حسن وله شواهد يصح بها، منها:
ما جاء عن طارق بن شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ لما سئل أي الجهاد أفضل؟ قال: «كلمة حق عند سلطان جائر»، رواه أحمد برقم (١٨٨٣٠) والنسائي برقم (٤٢٠٩)، وهو حديث صحيح.
وجاء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»، رواه أبو داود برقم (٤٣٤٤) والترمذي برقم (٢١٧٤) وابن ماجه برقم (٤٠١١)، وهو حديث حسن.

(٣) حسن لغيره. أخرجه الحاكم برقم (٤٨٨٤)، وقد حسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة برقم (٣٧٤).

قال ابن باز رحمه الله: ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يُفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة بالمعروف.ا هـ

وقال ابن مفلح رحمه الله[١]: وقال ابن الجوزي: من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين التعريف والوعظ، فأما تخشين القول نحو: يا ظالم، يا من لا يخاف الله، فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء. انتهى كلامه رحمه الله.

فالعلماء هم الذين ينصحون، ومن تمكن من الدخول على الولاة والحكام ونصحهم، فهو أمر طيب ويختار الكلام مع السلطان في الخلوة على الكلام معه على رءوس الأشهاد بل لو كلمه سرا ونصحه خفية من غير ثالث لهما فهو الأولى، وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول: لو أعلم أنَّ لي دعوة مستجابة لدعوت بها للوالي.

وأخرج ابن عبد البر في التمهيد[٢] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **«كان الأكابر من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهون عن سب الأمراء»**.

وأخرج ابن سعد في الطبقات[٣] عن هلال بن أبي حميد قال: سمعت عبد الله بن عكيم يقول: **«لا أعين على دم خليفة أبدًا بعد عثمان»**.ا هـ

---

(١) في الآداب الشرعية (١/ ١٧٦).

(٢) في التمهيد (٢١/ ٢٨٧).

(٣) في الطبقات (٣/ ٥٨).

وانظروا إلى الخروج على الحكام كيف يسبب الفتن والشر لما خرجوا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كم ظهرت من فتن بعد قتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؟ بل وانتشر الشر، وظهرت الطوائف والجماعات والفرق الضالة.

وإذا سمعت من يتكلم في الحكام فالواجب عليك أن تنصحه وتزجره، ، ولو قال لك: أنت عميل لفلان فلا تبال؛ لأن هذا من باب بذل النصحية.

روى الترمذي[1]، عن زياد العدوي قال: كنت مع أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس لباس الفساق. فقال أبو بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اسكت، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»**.

فأين العوام الذين يفقهون مثل هذه المسائل؟

ولهذا تأمل إلى كلام الشيخ رحمه الله: حيث قال: (ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم، فكيف العمل به).

ظهر أناس يدعون العلم، ويطلعون على المنابر، ويلوون أعناقهم عن أدلة السمع والطاعة لولاة الأمر، ويؤججون الناس بالخروج على الحكام، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»**[2].

---

(١) صحيح. أخرجه الترمذي برقم (٢٢٢٤)، وهو حديث صحيح، وقد صححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (١١٧٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٨٤) ومسلم برقم (١٨٤٧) عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله[١]: ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة والجماعة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة، ولا يرون قتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث المستفيضة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لأن الفساد من القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أدنى الفسادين بالتزام أعظمهما، ولعله لا تكاد تعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته.ا هـ

وقال رحمه الله[٢]: وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير كالذين خرجوا على يزيد في المدينة كالأشعث الذي خرج أيضا على عبد الملك في العراق... إلى أن قال: وغاية هؤلاء إما أن يغلبوا وأما أن يغلبوا، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة فإن عبد الله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلاً خلقًا كثيرًا، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، وأما الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهزموا وهزم أصحابهم فلا أبقوا دينًا ولا أبقوا دنيا، والله لا يأمر بأمر لا يحصل فيه صلاح الدين، ولا صلاح الدنيا. ا هـ وله كلام طويل فليراجع.

---

(١) في منهاج السنة (٣/ ٣٩١).

(٢) في منهاج السنة (٤/ ٥٢٧).

قال المصنف رحمه الله:

الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم، وقد بين الله تعالى هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[البقرة:٤٠]، إلى قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة:٤٧]).

هذا الأصل في بيان أن الشريعة جاءت ببيان العلم وصفات أهله وحملته فمن قرأ في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وجد أن الشرع قد بين هذا بيانًا واضحًا لا لبس فيه، ولا أدنى شبهة.

والعلم في اللغة: ضد الجهل.

وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، والمراد بالعلم علم الكتاب والسنة، وهو العلم النافع الذي ينتفع منه الناس في الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

العلـــم قـــال الله قـــال رســـوله قـــال الصـــحابة هـــم أولـــوا العرفـــان

وقال رحمه الله: فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن.

وقال أبو إسحاق الألبيري رحمه الله:

فـــرأس العلـــم تقـــوى الله حقًـــا ولـــيس بـــأن يُقـــال لقـــد رأســـتَ

رأس العلم وأسه وأساسه تقوى الله، رأس العلم خشية الله الذي يحملك على العمل الصالح، وليس رأس العلم أن تترأس، ثم قال رحمه الله:

إذا لم يفدك العلم خيرًا فخير منه أن لو قد جهلت.

العلم الذي لم يحمل صاحبه على العمل، وما هذب صاحبه فلو بقي على الجهل لكان أحسن.

والعلماء هم حملة العلم قال النبي ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن ينتزعه بقبض العلماء»[(١)]، متفق عليه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

قال ابن القيم رحمه الله[(٢)]: ولولا أخبرنا وحدثنا لما وصل إلى هذا وأمثاله شيء من الإسلام.ا هـ

---

(١) رواه البخاري برقم (١٠٠) ومسلم برقم (٢٦٧٣).

(٢) في المدارج (٢/ ٤٣٨).

فكم تسمع من يطعن في كتب السنة كصحيح البخاري وصحيح مسلم، ولولا حدثنا وأخبرنا لما وصل لنا شيء من الإسلام؛ لأنهم الذين نقلوا لنا العلم ا، وله كلام نفيس بعده في المدارج فليراجع.

وقوله: (وبيان من تشبه بهم) أي: من تشبه بالعلماء والفقهاء. **(وليس منهم)**، وهو في الحقيقة ليس منهم لا بأس للإنسان أن يتشبه بالصالحين والعلماء فيما يفعلون، فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح.

ولكن المصيبة أن يتكاثر بالعلم، وهو ليس من أهل العلم.

وقد ضرب الله في القرآن مثلين بأخس الحيوانات في من أخذ العلم، ولم يعمل به وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«ليس لنا مثل السوء»**[١]:

المثل الأول: قوله سبحانه: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ** ﴾[الأعراف:١٧٥.١٧٧].

والكلب هو أخس الحيوانات، ولذا كانت نجاسته مغلظة، ولذا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«إذا ولغ الكلب في إناء أن يُغسل سبع مرات أولاهن بالتراب»**[٢].

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٦٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري برقم (٢٧٩) عن أبي هريرة .

المثل الثاني: قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[الجمعة:٥]، والحمار من أخس الحيوانات قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[لقمان:١٩]، فشبه من رفع صوته بصوت الحمير قال بعض السلف: لو كان رفع الصوت خيرًا لما جعله اللهُ للحمير.ا هـ

فالشرع قد ميز بين العلماء والدعاة إلى الله تعالى، وبين من ليس منهم، وقد بين الله تعالى هذا الأصل في أول سورة البقرة، وهي سورة مدنية، فقد قص الله نبأ بني إسرائيل، وما كان منهم من تكذيب وإعراض وخلط بين الحق والباطل، وكتمان للحق ورده، وعدم العمل بالعلم، فكان ذلك حجة عليهم.

وقوله: (العلم) قال الجرجاني رحمه الله[1]: العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.ا هـ فالعلم إذا أُطلق المراد به علم الكتاب والسنة.

قوله: (والفقه والفقهاء) الفقه في اللغة: بمعنى الفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾[هود:٩١] أي: ما نفهم. وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء:٤٤]، وقال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾[طه:٢٨]؛ لأن فرعون كان يتباهى بنفسه وأنه أفضل من موسى،

---

(١) التعريفات ص(١٥٥).

لأن موسى عليه السلام لا يفصح في كلامه. ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:٥٢]، يعني: لا يكاد أن يفصح في كلامه.

والفقه في الشرع: إدراك الشريعة وفهمها.

وعند الأصوليين: معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها التفصيلية، قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**»[1]، ودعا النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بالفقه في الدين فقال له: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[2].

قال شيخ الإسلام رحمه الله[3]: وكل من أراد الله به خيرًا لا بد أن يفقه في الدين، فمن لم يفقهه في الدين لم يرد الله به خيرا.ا هـ

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فعن معاد العرب تسألون خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[4]، متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧) عن معاوية رضي الله عنه، ورواه أحمد برقم (٢٧٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح، وابن ماجه برقم (٢٢٠) أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٤٧٧) بلفظ: «اللهم فقه»، والبخاري برقم (١٤٣) بلفظ: «اللهم فقهه في الدين»، وعند أحمد برقم (٢٣٩٧) بلفظ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، بسند صحيح.

(٣) كما في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٨٠).

(٤) رواه البخاري برقم (٣٣٥٣) ومسلم برقم (٢٣٧٨) .

وجاء عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا»[(١)]، فشبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العلم بالغيث فنفع الغيث للبلاد ونفع العلم للعباد، وقال تعالى مادحًا أهل الفقه: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[الأنعام:٩٨].

وقال ابن القيم رحمه الله[(٢)]: إذ الفقيه من يخشى الله عز وجل.ا هـ

وليس الفقيه من يعرف المسائل بادلتها التفصيلية هذا عند الأصوليين، لكن الفقيه حقا هو الذي يخشى الله هو الذي يعمل بعلمه.

وهناك أدلة كثيرة في القرآن والسنة على فضل العلم الشرعي وإليك جملة منها.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

١ـ وقال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة:٣١] الآيات.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[آل عمران:١٨]، فأشهد ملائكته وأهل العلم على أعظم مشهود وهو توحيد رب العالمين.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء:٨٣].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٩) ومسلم برقم (٢٢٨٢).

(٢) في إعلام الموقعين (٣/ ١٦٤).

٤ـ وقصة الخضر مع موسى عليه الصلاة والسلام. ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[الكهف:٦٦].

٥ـ وقال الله عز وجل ﴿ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[طه:١١٤]، ولم يأمر الله النبي ﷺ أن يتزود من شيء إلا من العلم.

٦ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:٢٨].

٧ـ وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر:٩].

٨ـ وقوله عز وجل: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١].

٩ـ أنه صفة من صفات الأنبياء قال الله: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة:٣١] ، وقال عن يعقوب: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٩٦]، وقال عن يوسف: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[يوسف:٥٥]، وقال تعالى: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾[الذاريات:٢٨] والغلام العليم هو إسحاق عليه الصلاة والسلام والغلام الحليم هو اسماعيل عليه الصلاة والسلام.

وقال الله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[الأنبياء:٧٩].

وقال عن موسى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[القصص:١٤].

١٠ـ أنه من صفات العلماء كما قال سبحانه:﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[آل عمران:٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾[العنكبوت:٤٩]، فأهل العلم ينظرون إلى الفتنة وهي مقبلة، وأما عوام الناس فلا يعرفون الفتنة إلا وهي مدبرة، هذا لمن وفقه الله.

ثانيًا: الأدلة من السنة:

١ـ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**«من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»**[(١)].

٢ـ وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**[(٢)]، وفي رواية: **«أفضلكم»**.

٣ـ وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**[(٣)]، رواه مسلم.

٤ـ وجاء عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من سلك**

---

(١) رواه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧) عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه أحمد برقم (٢٧٩٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بسند صحيح، وابن ماجه برقم (٢٢٠) أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث حسن.

(٢) رواه البخاري برقم (٥٠٢٧- ٥٠٢٨) عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) رواه مسلم برقم (١٦٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

طريقًا يلتمس فيه علمًا؛ سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتانُ في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» [١]، رواه الترمذي وهو حديث حسن.

٦ـ وقال النبي ﷺ : **«سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع»**[٢]، رواه ابن ماجه عن جابر رضي الله عنه ، وكان النبي ﷺ يقول: **«اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علمًا»**[٣]، رواه الترمذي.

٧ـ وقال النبي ﷺ : **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**[٤]، رواه ابن ماجه

٨ـ وقال النبي ﷺ : **«منهومان لا يشبعان: منهوم في علم لا يشبع، ومنهوم في دنيا لا يشبع»**[٥]، رواه الحاكم.

---

(١) **حسن**. رواه الترمذي برقم (٢٦٨٢)، وهو حديث حسن .

(٢) **حسن**. رواه ابن ماجه برقم (٣٨٤٣)، وهو حديث حسن.

(٣) **حسن بشواهده**. رواه الترمذي برقم (٣٥٩٩)، وهو حديث حسن بشواهده.

(٤) **حسن بشواهده**. رواه ابن ماجه برقم (٢٢٤)، وهو حديث حسن بشواهده.

(٥) **صحيح**. رواه الحاكم برقم (٣١٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

قال المصنف رحمه الله

(ويزيده وضوحًا ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد)

أي: مما يزيد هذا الأصل توضيحًا وبيانًا ما جاء في السنة النبوية من الأحاديث الكثيرة التي تبين وتوضح هذا الأصل، وقد ذكرنا أدلة من السنة تبين فضل العلم الذي يفهمه العامي البليد، والبليد مأخوذ من البلادة وبلُد الرجل بالضم بلادة فهو بليد أي: غير ذكي ولا فطن.

قال: **(ثم صار هذا أغرب الأشياء)** أي: بعد هذا التوضيح من القرآن والسنة صار عند كثير من الناس أغرب الأشياء.

(وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات) أي: وصار عند كثير من الناس من تعلم العلم الشرعي، وتفقه في دينه على فهم السلف من المبتدعة، ومن أهل الضلال.

والبدعة في اللغة: ما وجد على غير مثال سابق.

وأما في الشرع: ما أُحدث في الدين على غير مثال سابق، وقد قال النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وكل بدعة ضلالة»[1].

والضلال: هو العدول عن الطريق المستقيم قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[يونس:٣٢].

قال رحمه الله: (وخيار ما عندهم) أي: من الشُبه (لبسُ الحق بالباطل)، واللبس بمعنى الخلط ومنه قوله تعالى: ولا تلبسوا الحق بالباطل. وأصل الحق: المطابقة والموافقة، والباطل: نقيض الحق وهو المخالفة، وعدم المطابقة.

وانظروا إلى واصل بن عطاء كان يتعلم ويدرس في حلقة الحسن البصري رحمه الله، فجاء رجل يسأل الحسن البصري عن صاحب الكبيرة فقام واصل ابن عطاء وقال: هو خالدٌ مخلدٌ في النار، وحكم عليه بالكفر في الدنيا، واعتزل مجلس الحسن رحمه الله فقال الحسن البصري: اعتزلنا واصل فسموا المعتزلة.

---

(١) رواه مسلم برقم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

قال المصنف رحمه الله:

(وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون)

أي: في نظر كثير من الناس لا يتكلم به إلا زنديق أو مجنون فيرمون صاحب العلم والحق بالأوصاف القبيحة، ولكن ولله الحمد والمنَّة، فإن السنة تشق طريقها، ولها قبول بين الناس، وتطمئن لها النفوس. والشيخ رحمه الله يتحدث عن وقته؛ لأنه تعب ولاقى أذية، وكان الناس في بدع وخرافات، وفي بُعد عن العلم، وأما في أيامنا هذه ولله الحمد والمنة انتشرت السنة. وصار كثير من الناس يحبون السنة.

قال المصنف رحمه الله :

(وصار من أنكره، وصنف في التحذير منه، والنهي عنه هو الفقيه العالم)

أي: صار عند كثير من الناس من أنكر العلم وأنكر على أهله وحملته، وعاداهم، وكتب وصنف في التحذير من العلم وأهله هو الفقيه العالم.

وصدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «**قبل الساعة سِنُونَ خداعة**»[١]، الحديث رواه أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قال ابن القيم رحمه الله[٢]: ومن أحالك على غير أخبرنا وحدثنا فقد أحالك: إما على خيال صوفي، أو قياس فلسفي، أو رأي نفسي.

فليس بعد القرآن وأخبرنا وحدثنا إلا شبهات المتكلمين، وآراء المنحرفين، وخيالات المتصوفين، وقياس المتفلسفين، ومن فارق الدليل، ضل عن سواء السبيل، ولا دليل إلى الله والجنة، سوى الكتاب والسنة، وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي من طرق الجحيم، والشيطان الرجيم.

والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه: ما جاء به الرسول، والعلم خير من الحال: العلم حاكم، والحال محكوم عليه، والعلم هاد، والحال تابع، والعلم آمرناه، والحال منفذ قابل، والحال سيف، إن لم يصحبه العلم فهو مخراق في يد لاعب. الحال مركب لا يجارى، فإن لم يصحبه علم ألقى صاحبه في المهالك والمتالف. والحال كالمال يؤتاه البر والفاجر، فإن لم يصحبه نور العلم كان وبالا على صاحبه.

---

(١) **حسن**. رواه أحمد برقم (٨٤٥٩)، وهو حديث حسن.

(٢) في مدارج السالكين (٢/ ٤٣٩ـ ٤٤٢).

الحال بلا علم كالسلطان الذي لا يزعه عن سطوته وازع، الحال بلا علم كالنار التي لا سائس لها.

نفع الحال لا يتعدى صاحبه، ونفع العلم كالغيث يقع على الظراب والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر.

دائرة العلم تسع الدنيا والآخرة، ودائرة الحال تضيق عن غير صاحبه، وربما ضاقت عنه.

العلم هاد، والحال الصحيح مهتد به، وهو تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عصبتهم ووراثهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال.

وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين، والغي والرشاد، والهدى والضلال، به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحد، ويحمد ويمجد، وبه اهتدى إليه السالكون، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، ومن بابه دخل عليه القاصدون، به تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال من الحرام، وبه توصل الأرحام، وبه تعرف مراضي الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب.

وهو إمام، والعمل مأموم، وهو قائد، والعمل تابع، وهو الصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة والكاشف عن الشبهة، والغنى الذي لا فقر على من ظفر بكنزه، والكنف الذي لا ضيعة على من آوى إلى حرزه.

مذكراته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، ومدارسته تعدل بالصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب. لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه.

وروينا عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. ونص على ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه.

وقال ابن وهب: كنت بين يدي مالك رضي الله عنه. فوضعت ألواحي وقمت أصلي. فقال: ما الذي قمت إليه بأفضل مما قمت عنه.ذكره ابن عبد البر وغيره. واستشهد الله عز وجل بأهل العلم على أجل مشهود به، وهو التوحيد، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم، فإنه سبحانه وتعالى لا يستشهد بمجروح.

ومن هاهنا - والله أعلم - يؤخذ الحديث المعروف **«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل المبطلين»** .

وهو حجة الله في أرضه، ونوره بين عباده، وقائدهم ودليلهم إلى جنته، ومُدْنِيهم من كرامته.

ويكفي في شرفه: أن فضل أهله على العباد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وأن الملائكة لتضع لهم أجنحتها، وتظلهم بها، وأن العالم يستغفر له من

في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر، وحتى النمل في جحرها، وأن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير.

ولقد رحل كليم الرحمن موسى بن عمران - عليه الصلاة والسلام - في طلب العلم هو وفتاه، حتى مسهما النصب في سفرهما في طلب العلم حتى ظفر بثلاث مسائل، وهو من أكرم الخلق على الله وأعلمهم به.

وأمر الله رسوله أن يسأله المزيد منه فقال: ﴿وقل رب زدني علما﴾ [طه: ١١٤] .

وحرم الله صيد الجوارح الجاهلة، وإنما أباح للأمة صيد الجوارح العالمة.

فهكذا جوارح الإنسان الجاهل لا يجدي عليه صيدها من الأعمال شيئًا، والله سبحانه وتعالى أعلم.ا هـ

نسأل الله عز وجل أن يفقهنا في الدين، وأن يرزقنا علمًا نافعًا.

قال المصنف رحمه الله :

الأصل الخامس: بيان الله سبحانه لأولياء الله، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله والمنافقين والفجار).

هذا أصل عظيم، وهو أن الله سبحانه وتعالى قد بين بيانًا واضحًا لا لبس فيه الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

فالأولياء جمع ولي مأخوذ من الولاية، وهي مصدر ولي بمعنى قرُب.

والولاية في الاصطلاح: هي القرب من الله تعالى بطاعته.

قال شيخ الإسلام رحمه الله[١]: وأصل الولاية المحبة والتقرب.ا هـ

وقد أثبت الله سبحانه وتعالى ولايته للمؤمنين، ونفاها عن غيرهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[البقرة:٢٥٧]، والولاية

---

[١] في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص (٩).

تدور على معنيين: المحبة والنصرة، ويقابل الولاية العداوة، فمن هو الولي لله عز وجل؟ الولي هو المؤمن التقي، قال الله تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[يونس:٦٢ـ٦٣]، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[المائدة:٥٥]، وقال عز وجل: ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:٦٨]، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[الأعراف:١٩٦]، ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[الحج:٧٨]، فالولي حقًا من كان مؤمنًا تقيًا صالحًا، وهذا زكريا عليه الصلاة والسلام يسأل الله عز وجل ولدا صالحا يكون وليا لله ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾[مريم:٥].

والولي من أسماء الله تبارك وتعالى. ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[البقرة:٢٥٧].

قال ابن جرير رحمه الله: نصيرهم وظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه.ا هـ

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[الشورى:٢٨]، والولي: هو الناصر والمعين الذي يتولى عباده ويوفقهم إلى مرضاته.

وشروط الولاية: الإيمان والتقوى والاتباع، والمحبة لدين الله وشرعه، والتواضع للمؤمنين والجهاد في سبيل الله، والبغض لأعداء الله فالله عز وجل يحفظ أولياءه وينصرهم ويرعاهم ويوفقهم.

ومن ثمرات الولاية: أن الله عز وجل يكون معينا لمن تولاه، وينصره ويوفقه، ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ، والخوف يكون من أمر سيأتي في المستقبل، ﴿ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿ والحزن يكون على شيء قد مضى فهم آمنون من الخوف والحزن. ولهذه الولاية ثمرات عظيمة وبشارات جليلة، ولذا قال تعالى: ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [يونس:٦٤]، والبشرى في الدنيا تكون بأمور كثيرة: أولًا: أن الله معه في نصره وتأييده، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]، وقال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾[غافر:٥١].

ثانيًا: تسديد جوارحه وتوفيقه للحديث المتقدم، والتوفيق هو ألا يكلك الله إلى نفسك، والخذلان أن يكلك الله إلى نفسك كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى[(١)].

ثالثًا: ما يراه المؤمن في النوم، أو ما يرى له من الخير، قال عليه الصلاة والسلام في تفسير البشرى: «**الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو ترى له**»[(٢)].

رابعًا: استجابة الدعاء فمن كان وليًا لله عز وجل، فإن الله عز وجل يستجيب دعاءه، دليل ذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**ولئن سألني لأعطينه**»[(٣)]، رواه البخاري.

خامسًا: أن الله عز وجل يجيره مما استعاذ منه، قال في الحديث: «**ولئن استعاذني**

---

(١) في الوابل ص(٧) والفوائد ص(٩٧) والمدارج (١/ ٤١٥).

(٢) صحيح لغيره. أخرجه أحمد برقم (٢٢٧٦٧)، وسنده حسن، وله شواهد يصح بها .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

لأعيذنه»[(١)].

سادسًا: ما يجري الله عز وجل على يد وليه من الآيات، والكرامات العظيمة، كما وقع لمريم عليها السلام ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[آل عمران:٣٧]، وكأصحاب الكهف، والغلام مع الساحر، والصبي مع أمه في قصة الأخدود: «**لما تقاعست أمه فقال لها: يا أمه اصبري فإنك على الحق**»[(٢)].

سابعًا: تبشير الملائكة له عند النزع الأخير، وخروج الروح، فالولي يبشر عند سكرات الموت، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٠ـ ٣٢]، وفي حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن المؤمن إذا حضره الموت جاءه ملائكة بيض الوجوه**»[(٣)]، وهذه بشرى تكون للمؤمن في سكرات الموت.

وأما البِشارة في الآخرة فتكون بالأمن من الفزع يوم القيامة، والبشارة بالجنة، قال

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٠٠٥) عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد برقم (١٨٥٣٤)، وسنده صحيح.

الله عز وجل: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [البقرة:٢٥] الآية، وقال تعالى: ﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الحديد:١٢].

وقد ألَّف شيخُ الإسلام رحمه الله رسالة سماها الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

قال رحمه الله:

(ويكفي في هذا آيةٌ في سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[آل عمران:٣١] الآية،).

﴿ قُلْ﴾ يا أيها الرسول، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ﴾ حقًا وصدقًا ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾، أي: ظاهرًا وباطنًا،﴿يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله[(١)]: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله،

---

(١) في تفسيره (٢/ ٢٦).

وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذبٌ في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله كما ثبت في الصحيح[١] عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، ولهذا قال: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِب، وإنما الشأن أن تحَب.

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية.ا هـ

فهذه الآية تسمى آية المحنة امتحن الله عز وجل أناسًا ادعوا محبة الله، فبين عز وجل أن من كان صادقا في محبته فليتبع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلو كان صادقًا في محبته لاتَّبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع.

أما أن يدعي أناس أنهم يحبون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويحبون آل بيته، وهم حربٌ على شرع الله، وحملة الكتاب والسنة فإنهم كاذبون في دعواهم.

---

[١] أخرجه مسلم برقم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها، وأصل الحديث في الصحيحين بلفظ: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**».

قال المصنف رحمه الله

وآية في سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة:٥٤].

قال ابن كثير رحمه الله: أي: يرجع عن الحق إلى الباطل.ا هـ فمن رجع عن الحق إلى الباطل فإن الله عز وجل سوف سيأتي بقوم صفتهم يحبهم الله ويحبونه.

قال المصنف رحمه الله

(وآيةٌ في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[يونس:٦٢.٦٣]).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين امنوا وكانوا يتقون. كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقيا كان لله وليا.ا هـ وهذا كلام جميل من ابن كثير رحمه الله تعالى، فلا نحتاج أن نتكلف في تفسير الولي، فقد فسره ربهم فكل من كان مؤمنًا تقيا كان لله وليا.

قال المصنف رحمه الله

(ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم، وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل، ومن تبعهم وليس منهم).

يتكلم الشيخ رحمه الله تعالى عن زمانه، في نظر الناس أن من ترك اتباع الكتاب والسنة، ولم يتبع نبينا ﷺ ولا السلف الصالح فهذا عندهم هو الولي.

(ولا بد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم)، ولا بد أيضًا عندهم من ترك الجهاد، وترك الإيمان والتقوى حتى يكون ولياً على حد زعمهم، وفي الحقيقة هذا سيصير ولي لمن؟ للشيطان، سيكون وليًا للشيطان.

يتحدث الشيخ رحمه الله تعالى عن وقته، وأن الناس تعصبوا للمذاهب وهجروا السنة، وأصبح المتبع للسنة غريبًا بينهم، وصار من اتبع هؤلاء الذين استقاموا على الكتاب والسنة، فليس منهم.

ثم وصف الذين يدّعون ولاية الرحمن وهم على خلاف ذلك، فقال: (لا بد من ترك الجهاد)، أي: كما يزعمون، وذكر المصنف رحمه الله الجهاد لأن أولياء الله هم المجاهدون في سبيله، وقد جعل الله المجاهدين أولياءه، ولهذا قال: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾[المائدة:٥٤] الآية.

(فمن جاهد في سبيل الله فليس منهم)، أي: ليس من أولياء الله في حد زعمهم، والقرآن يدل على خلاف ذلك.

قال: (ولا بد من ترك الإيمان والتقوى)، ولا بد من ترك الإيمان أيضًا في حد زعمهم، وقد ورد في القرآن أن الإيمان من أوصاف أولياء الرحمن.

قال: (فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم)، أي: من اتصف بالإيمان والتقوى فليس من أولياء الرحمن على حد زعمهم، وهؤلاء في الحقيقة هم أولياء الشيطان؛ لأن أولياء الرحمن قد وصفهم الله في كتابه بأوصاف وهم بعيدون عنها، وليست العبرة بالدعاوى فمن ادعى الولاية لا بد من عرض عمله على الكتاب والسنة، وهكذا كل من ادعى دعوة لابد أن تعرض هذه الدعوى على كتاب الله وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإذا كانت موافقة للشرع فهي دعوة صحيحة مقبولة، وإلا صارت باطلة وكاذبة.

ثم قال: (يا ربنا نسألك العفو والعافية) والعفو هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، والعافية: هي السلامة من الآفات والشدائد في الدنيا والآخرة.

ثم قال: (إنك سميع الدعاء)، فالله عز وجل من أسمائه السميع يسمع دعاء العبد قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾[آل عمران:٣٨]، وقال سبحانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾[إبراهيم:٣٩].

قال المصنف رحمه الله:

الأصل السادس : رد الشبهة التي وضعها الشيطان. في ترك القرآن والسنة واتباع الأراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي: أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد المطلق هو الموصوف بكذا وكذا أوصافا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنه فرضًا حتمًا لا شك فيه ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما؛ فهو إما زنديقٌ وإما مجنونٌ؛ لأجل صعوبة فهمهما، فسبحان الله وبحمده كم بين الله سبحانه شرعًا وقدرًا خلقًا وأمرًا في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى الضروريات العامة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالًا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾[يس:٨]، إلى قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيم ﴾[يس:١١]).

هذا هو آخر أصل من الأصول الستة، وفيه دعوة إلى الإقبال على الكتاب والسنة، والانتفاع بهما، فهما سبيل النجاة في الدنيا والآخرة.

قوله: (**رد الشبهة**)، الشبهة في اللغة: هي ألا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من الشبه.

وفي الشرع: ما التبس أمره فلا يدرى أحلال هو أم حرام؟

وقال ابن القيم رحمه الله: والشبهة واردٌ يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له. انتهى

من مفتاح دار السعادة[١]، وهذا أحسن تعريف للشبهة.

وقال رحمه الله[٢]: سميت الشبهة شبهة؛ لاشتباه الحق بالباطل فيها، فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس، فيعتقد صحتها، وأما صاحب العلم واليقين فإنه لا يغتر بذلك، بل يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها فينكشف له حقيقتها.ا هـ

وقال رحمه الله في إغاثة اللهفان[٣]: والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات.

وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما، ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم.ا هـ

والشيطان مأخوذ من شطن إذا بعد عن الخير، وسمي الشيطان شيطانا لبعده عن

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠ـ ١٤١).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٥).

الحق وعن الخير، وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة ما هذه الشبهة؟

قال المصنف رحمه الله

(وهي أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق هو الموصوف بكذا وكذا. أوصافا كثيرة لعلها لا توجد تامة في ابي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

وقوله: (والمجتهد المطلق هو الموصوف بكذا وكذا) كنَّى عن الصفات التي ذكروها مطولة فبعض الأصوليين اشترط في المجتهد أن يكون مطلعا على القرآن وعلومه وعلى السنة، وأن يكون مدركا للسنة وللغة العربية ربما ذكروا شروطًا لا توجد في عالم من العلماء فأغلقوا باب الاجتهاد ولذا قال: (أوصافا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) وفعلا ذكروا شروطًا وأوصافا لا توجد في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لأنهم يشترطون في المجتهد أن يكون محيطًا بالسنة، ومعلوم أن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كانا يسألان بعض الصحابة عن بعض الأمور هل سمعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيها شيئًا وكان عمر رضي الله عنه يستشير الصحابة ويسألهم فالشروط الكثيرة المطولة التي ذكروها إذا لم تنطبق على أبي بكر وعمر فكيف تنطبق على العلماء في زماننا؟ فهذه الشبهة منعت الناس من الاجتهاد، وجعلتهم مقلدين لمن قبلهم، ولا يستطيعون أن يستنبطوا شيئًا من الكتاب والسنة، وأصبح المجتهد في بعض العصور كما **قال المؤلف رحمه الله: (إما**

زنديق وإما مجنون)، ولا شك أن الاجتهاد بابُه مفتوح لمن كان أهلا للاجتهاد، كمن كان عنده حد كاف من العلم باللغة والكتاب والسنة، والمعرفة بقواعد الشريعة التي يتمكن من خلالها إلى الاجتهاد، وليس لمن كان ضعيف البضاعة، قليل العلم أن يجتهد، فإنه قد يذهب إلى رأي فاسد، ويخالف نصوص الكتاب والسنة، فربما يأتي بأمور لم يأت بها الأولون، فباب الاجتهاد لا بد أن يضبط بضوابط دون إفراط ولا تفريط.

والمجتهد مأخوذ من الاجتهاد، وهو في اللغة: بذل الجهد في فعل شاق.

وفي الاصطلاح: بذل الوسع في استنباط الأحكام الشرعية.

هذا هو المجتهد أن يبذل وسعه في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية فالمجتهد هو من له القدرة على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

وهناك مقولة عند الأصوليين يقولون: كل مجتهد مصيب، وهل هذه المقولة صحيحة؟ هذه المقولة فيها تفصيل: فإن قيل كل مجتهد مصيب أو لكل مجتهد نصيب أي: نصيب من الأجر فهذا صحيح، وأما أن يقال: كل مجتهد مصيب، أو لكل مجتهد نصيب بمعنى أنه يصيب الحق فهذا خطأ، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر، وإذا اجتهد فأصاب فله أجران»[1]، متفق عليه عن أبي هريرة وعمرو ابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **ثم قال**

---

[1] رواه البخاري برقم (٧٣٥٢) ومسلم برقم (١٧١٦).

متعجبا: (فسبحان الله وبحمده كم بين الله سبحانه وتعالى شرعا وقدرًا...) أي: بين هذا الأمر قال تعالى: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء:٨٢].

قال القرطبي رحمه الله[(١)]: ودلت هذه الآية وقوله تعالى: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ [محمد:٢٤] على وجوب التدبر في القرآن؛ ليعرف معناه. إلى أن قال: وفيه دليل على الأمر بالنظر والاستدلال وإبطال التقليد، وفيه دليل على إثبات القياس.ا هـ

ثم استدل على سوء حالهم بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالًا**﴾، وهذه الأغلال على أيديهم مع العنق ﴿**فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ** ﴾[يس:٨]، .

قال ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية: يقول تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غل. كنسبة من جعل في عنقه غِلٌّ، فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مقمحًا ولهذا قال: ﴿**فَهُمْ مُقْمَحُونَ** ﴾، والمقمح هو الرافع رأسه.ا هـ ﴿**وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا**﴾، أي: حاجزًا ومانعًا، ﴿**فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ**﴾، أي: لا يبصرون الحق، ولا يوفقون إليه، ولا ينتفعون بخير.

---

(١) في تفسيره (٥/ ٢٩٠).

﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[يس:١٠]، أي: يستوي عند الكفار تحذيرك لهم وعدم تحذيرك، فهم لا يصدّقون لا يُقرون ولا يعملون. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: إنما ينتفع بتحذيرك من آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من الأخبار والأحكام، وخاف الرحمن بالغيب حيث لا يراه أحد إلا الله ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ أي: لذنوبه وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾[يس:١١]، أي: حسن جميل واسع وكبير ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك:١٢].

قال المصنف رحمه الله

(آخره، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين).

لما انتهت هذه الرسالة ختمها بالحمد لله، والحمد هو ذكر محاسن المحبود مع المحبة والإجلال والتعظيم، وثنى بالصلاة على محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

والصلاة في اللغة: الدعاء ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التَّوْبَةِ: ١٠٣]، ولحديث أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا، فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا، فَلْيَطْعَمْ»[(١)]، رواه مسلم.

وأصح ما قيل في صلاة الله على رسوله: ثناءه عليه عند الملائكة.

والصلاة من الملائكة بمعنى الاستغفار، لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللهُمَّ ارْحَمْهُ، اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ**»[(٢)]، متفقٌ عليه، ومن الآدميين: التضرع والدعاء.

وجمع بين الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذا هو الأفضل؛ لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ **[الأحزاب:٥٦].**

قال ابن الجزري في مفتاح الحصن[(٣)]: وأما الجمع بين الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو الأفضل، والأولى، والأكمل، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة. ا هـ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٣١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢١١٩) ومسلم برقم (٦٤٩).

(٣) كما في شرح النونية لأحمد بن عيسى (١/ ٢٢-٢٣).

والحكمة من تأكيد الأمر بالسلام في الآية القرآنية: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، ذلك؛ لأن الصلاة قد أخبر الله أنه هو وملائكته يصلون على النبي، فإذا استشعرت النفوس هذا بادرت إلى الصلاة عليه، وإن لم تؤمر، فكيف وقد أمرت به، إذًا: لا يحتاج إلى هذا التأكيد، بخلاف السلام فإنه خلا من هذا المعنى، وجاء في حيز الأمر دون الخبر، فلما خلا حسن تأكيده [(١)] .

والآل: هم من تحرم عليهم الصدقة، بنو هاشم وبنو عبد المطلب، كما قال النبي ﷺ : «**إنما بنو هاشم، وبنو عبد المطلب شيءٌ واحد**»[(٢)]، وكذلك تحرم الصدقة على أزواجه رضي الله عنهنَّ، فهنَّ من أهل بيته، ويطلق الآل على الأتباع.

وقوله: (وصحبه) جمع صاحب، وفيه الثناء على أصحاب النبي ﷺ ، والصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك، ولو تخللته ردة على الصحيح[(٣)].

وبهذا نكون قد انتهينا من هذه شرح الرسالة في الثاني من شهر رجب لعام ألف وأربعمائة وخمس وأربعين من الهجرة النبوية، في سبعة مجالس فله الحمد والمنة ونسأل الله عز وجل التوفيق والسداد.

---

(١) انظر بدائع الفوائد (٢/ ١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣١٤٠) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٣) وهذا تعريف الحافظ رحمه الله في الإصابة (١/ ٨).

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه/

أبو لقمان هاشم بن حسن بن عبده القرشي

غفر الله له ولوالديه والمسلمين.

الفهرس

مقدمة الشارح ٢
ترجمة المؤلف ٤
شرح مقدمة المؤلف ٧
الأصل الأول ٢٣
الأصل الثاني ٢٨
الأصل الثالث ٤٠
الأصل الرابع ٥١
الأصل الخامس ٦٧
الأصل السادس ٧٦
الفهرس ٨٥